نظرة عن اقتصاد و تجارة النوميديين

د. مهنتل جهيدة•

الملخص:

المقال هو محاولة منا لإبراز بعض مظاهر الحضارة النوميدية التي سبقت المجيء الروماني والتي لم تحظ بدراسة دقيقة نظرا لشح المصادر التي أشارت إليها، وكذلك قلة الآثار التي انحصرت أكثر في الجانب الجنائزي. فهي نظرة وجيزة عن الجانب الاقتصادي، نعرف من خلاله بعض الحرف الصناعات التي عرفها النوميديون،و كذلك إعطاء لمحة عن الحركة التجارية التي كانت بينهم وبين الشعوب الأخرى .

مقدمة:

تخبرنا المصادر الإغريقية و اللاتينية عن وجود ممالك نوميدية ذات كيان سياسي ملكي خلال القرن الثالث ق.م تزامن ذكرها مع الصراع القرطاجي-الروماني، الذي لعبت فيه الممالك النوميدية دورا محوريا.

وإن اعطى الكتاب القدامى نظرة غامضة عن سكان المغرب القديم، وربطوا تعرفهم على الأسس الحضرية بالمجيء الفينيقي ثم الروماني فإن التاريخ والآثار ينفيان ذلك.

ولعل الانتشار الهائل للمقابر الجنائزية الميغاليتية من دولمن وبازينات، والمتمركزة أكثر في الشرق ألجزائري على غرار المنطقة القسنطينية دليل على ذلك، لما حملته هذه المقابر من أثاث جنائزي يعود بنا الى نهاية فترة ما قبل التاريخ.[١]

وذكرت المصادر وجود مملكتين كبيرتين هما المملكة الماسيسلية و اشهر ملوكها الملك النوميدي سيفاكس (٢٢٠-٢٠٣ ق.م) و المملكة الماسيلية و اشهر ملوكها الملك ماسينيسا (٢٠٣ -١٤٨ ق.م) الذي وحد المملكتين باسم مملكة نوميديا. و تعتبر فترة حكمه أطول فترة عرفت خلالها المملكة استقرارا و ازدهارا على كل الأصعدة . و قد ذكر الكاتب الإغريقي بوليبيوس(Polybius) صفات هذا الملك و انجازاته خاصة في الميدان الزراعي و وصفه بالفارس الذي لا يفارق صهوة جواده الخالي من أي تجهيز[٢]، و تعطينا الخريطة التالية فكرة عن حدود مملكة نوميديا .

•أستاذة محاضرة- معهد الآثار(جامعة الجزائر٢).

[١]-زرارقة(مراد)، المعالم الميغاليتية وشبه ميغاليتية لمنطقتي البرمة وجبل فرطاس جنوب قسنطينة. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر

[2]- Polybe, histoire romaine, I,2,68-88,éditButtner Wobst,1883

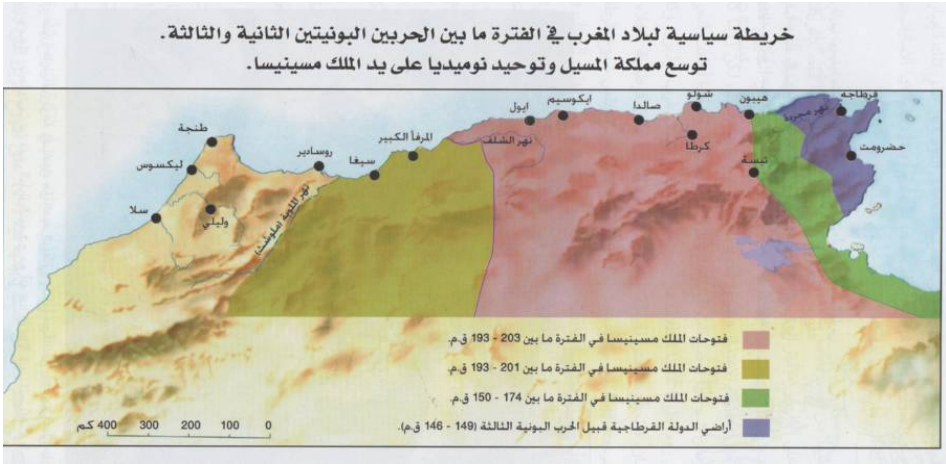

عن/شنيتي(محمد البشير)،الجزائر، قراءة في جذور التاريخ و شواهد الحضارة،دار الهدى٢٠١٣،ص١٨٥

و لم يحظ الجانب الحضاري لهذه الممالك بدراسة دقيقة بسبب شح المصادر و قلة الآثار المكتشفة، والتي لم تذهب إلى ابعد من القرن الرابع قبل الميلاد، إلا ان هذه المعطيات تكفي للتأكيد ان تطور الممالك النوميدية قد اتبع نفس مسار الحضارات المتزامنة معها في حوض البحر المتوسط .

وتعتبرالبقايا المعمارية الشاهد المادي المعبر عن الحضارة النوميدية و بريقها و التي تحمل إلى جانب الطراز المعماري المحلي تأثيرات فينيقية إغريقية و مصرية تدل على انفتاح النوميديين على العالم الخارجي. و من بين هذه المعالم ضريح امدغاسن(القرن الرابع ق.م) الذي يوجد قرب مدينة باتنة شرق الجزائر و الضريح الملكي قرب مدينة شرشال الجزائر وسط (لم يحدد تاريخه بالضبط) و ضريح صومعة الخروب(القرن الثاني ق.م) قرب مدينة قسنطينة شرق الجزائر و غيرها من الشواهد التي لا يتسنى ذكرها هنا .

ويعتبر الكاتب الروماني سالوستوس(Sallustus)[٣] و الكتاب المجهول للحرب الإفريقية[٤]من بين أهم المصادر التي تحدثت عن النوميديين .لان روما بعد سقوط قرطاجة حرصت على حرق الكتب التي كانت بها ،و التي تحدثت بالتأكيد عن النوميديين، و لم ينجو من هذا الحريق إلا شيء قليل.نذكر منها نص قديم خاص ببعثة بحرية قرطاجية إلى المغرب ألقديم بنى من خلالها الباحثون بعض الاستنتاجات حول الحياة الاقتصادية في الفترة النوميدية .

[3] -Bellum Africum ; Bouvet(A), La guerre d'Afrique Dans collection des universités de France.1949

[4]- Salluste, La guerre de Jugurtha, traduit par Alfred Ermont, les belles lettres , Paris, 1941

ضريح امدغاسن عن/شنيتي،المرجع السابق،ص ٨٠

ومن أهم المراجع التي أولت أهمية للحضارة النوميدية، كتاب المؤرخ ستفان قزيل(St.Gsell)[٥]، تاريخ شمال إفريقيا خاصة الجزء الخامس منه، و الباحث قابريال كامبس(G .Camps)[٦].

أهم المظاهر الاقتصادية عند النوميديين:

١ – الزراعة:

يعتبر هيرودت من أقدم المؤرخين الذين أشاروا إلى الإطار المعيشي لسكان المغرب القديم،حيث صنفهم إلى الرعاة و المزارعين.[٧]

مشهد رعي بمنطقة تاسيلي ناجر بصحراء الجزائر(موقع ويكيبيديا)

[5] - Gsell(St), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Germany otto Zelle verlag, 1972,p220

[6] – Camps (G), « Aux origines de la bérberie, Masinissa ou le début de l'histoire », dans libyca, 1960. PP4-33

[7] - Hérodote, Textes explicatifs relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord. Paris 1916.

نحت يبين الحرث بالجمل بمنطقة قرزة(انجاز رياض ورفليلي من ليبيا)

ويؤكد الكاتب الإغريقي بوليبيوس ان الفضل يعود للملك النوميدي ماسينيسا في إدخال الزراعة إلى بلاد المغرب [٨]،وهو ما ذهب إليه أيضا الجغرافي الإغريقي سترابون(Srabon). [٩].

وان كنا نعترف بدور الملك ماسينيسا الكبير في نشر الحياة الزراعية ،فإننا في نفس الوقت لا نشك في هذه المزايدة في مدح هذا الملك .

لأننا إذا استندنا إلى المعطيات الايتيمولجية و الأثرية ،فان ظهور الزراعة في نومبديا يعود إلى ما قبل فترة ماسينيسا بكثير تصل إلى نهاية فترة ما قبل التاريخ.

فقد كشف لنا علماء الآثار عن بقايا عديدة عثر عليها خاصة في القبور منها أكواب و صحون وصحون كبيرة لطهي الخبز وبقايا حيوانات ،تؤكد على وجود شعوب كبيرة مستقرة كانت تمارس الزراعة[١٠]

وأكد علماء النبات ان زراعة الحبوب مارسها السكان القدامى بالمغرب القديم قبل قدوم الفينيقيين.[١١]

وعثر بالجزائر بدوار تزبنت على بعد كيلومترات من مدينة تبسة التي تقع في أقصى الشرق الجزائري مع الحدود التونسية ،على اثأر تهيئات زراعية قديمة تشبه أخرى وجدت بالأطلس الأعلى بالمغرب الاقصى في شكل جدران صغيرة من الحجر الجيري لاحتواء الماء و التراب[١٢].

وتبين هذه الآثار ان هذه التقنية قديمة تعود إلى ما قبل الفترة الرومانية و حتى الفترة الفينيقية. و ان روما وجدت في المغرب القديم نظاما زراعيا و مائيا متكاملا. قامت

---

[8] Polybe,XXXVI,16,78

[9] Strabon, Geographie de Strabon, traduit, A. Tardieu, XVII, 3, 15, Paris, 1880

[10]- Gsell(St), ,t1, Paris,1p239

[11] - Boudribila(M.M), Les anciens Amazighs avant les Phéniciens, AWAL n° 29 30-06-2004,p18

[12] -. Sérée de Roch, E., « Note sur les vestiges d'habitat au Tazebent, commune mixte de Tébessa », BAC, 1946, p. 193

باستغلاله وعملت على توسيعه وتطويره، وهو ما يفسر نجاح روما في تحقيق ذلك التوسع في الخريطة الزراعية.[١٣]

وتؤكد اللقى و البقايا الأثرية التي عثر عليها في المنطقة والتي تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث حسب كامبس على طول مدة الاستقرار ،كما ان استعمال المعول و المحراث كان قديما ولعل الاختلاف الموجود بين المحراث المغاربي البسيط الذي يتشكل من قطعتين عن المحراث الفينيقي و الروماني الذي يتكون من ثلاثة قطع، لتأكيد أخر على الأصل المحلي للمحراث الذي نجده في المغرب والجزائر وشمال تونس [١٤] . أي في الأماكن التي وجد بها اكبر عدد من الفخار وأيضا أكثر الأماكن التي عثر بها على أدوات زراعية.

وتشير الدراسات اللغوية التي اقيمت حول الشعوب الامازيغية الى غناها بالمفردات التي لها علاقة بالزراعة ،فكلمة ارد ن الامازيغية (القمح الصلب) نجدها منتشرة من واحة سيوا الى جزر الكناري ،وكلمة تمزين والان(الشعير) أيضا بنفس المناطق و عند التوارق. وما نلاحظه ان هذه الكلمات التي تشير إلى الحبوب بشمال إفريقيا هي كلمات امازيغية ، و لا تقترب من أي كلمة أجنبية أخرى ،كما أننا نلاحظ وجود كلمة عامة تشير إلى بذور الحبوب دون تحديد النوع وهي كلمة انندي.[١٥]

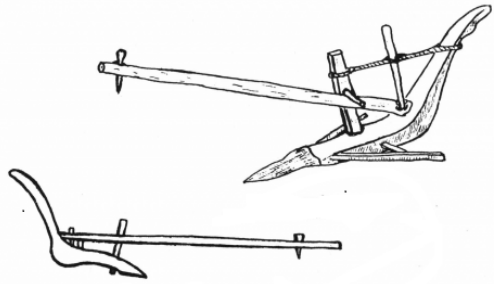

نموذج للمحراث المغاربي عن/
Camps.G,Araire, encyclopedie berbere,1989,p845

وما يمكن قوله ،انه لا يمكننا إنكار دور ماسينيسا في المجال الزراعي ، الذي عرف تطورا و ازدهارا كبيرا في عهده حيث سجلت المملكة في هذه الفترة فائضا في إنتاج الحبوب خاصة القمح الذي كان إنتاجه واسعا واهم صادرات نوميديا التي لم تكن تبخل حتى في إهداءه للإغريق و الرومان و لقبت نوميديا بمطمورة روما.

و إذا كانت حرفة الزراعة و الرعي هي الحرفة الأساسية عند النوميديين، إلا أنهم عرفوا حرفا صناعية منها البناء وصقل الحجارة وتهذيبها كما تدل عليه المعالم

[13] Chevalier, R., « La centuration romaine et la mise en valeur des sols dans la province d'Afrique », L'Information géographique, 22e année, septembre-octobre 1958, pp. 149-154
[14] camps., « Massinissa ou le début de l'histoire », art. cit., pp. 83-84.
[15] -. Laoust, E., Mots et choses berbères, Paris, Challamel, 1919, p. 265, imprimé en fac-similé par la Société marocaine d'édition, collection « Calques », Rabat, 1983

الميغالتية و الأضرحة المنتشرة عبر كل مناطق المغرب و الأنصاب التذرية و الجنائزية التي تزامن وجودها مع الممالك النوميدية.

٢ – الصناعة:

تعتبر نقيشة دوقة المزدوجة الكتابة (بونية و ليبية) التي اكتشفت بضريح منطقة دوقة(Dougga) بتونس ،من أهم الشواهد الأثرية التي تشير إلى الحرفيين و مساعديهم الذين بنوا ضريح دوقة ، و كانت أسماءهم و مهامهم حسب قزيل كالتالي:اباريش بن عبد عشتارت ،زمار بن اتيبان بن يبمثان بن بالو،ومونقي بن فركسن بمساعدة كل من زيزاي تمان وفركسن كانوا من بناة الحجارة أما مسدل بننفسن و انكان بن اشاي فكانو ا نجارين و شفوت بن بلال و بفاي بن بباي فكانوا حدادين [١٦]

ويكون مثل هؤلاء الذين ذكرتهم نقيشة دوقة من بنى مختلف المعالم الجنائزية البسيطة أو ذات عمارة أكثر تعقيدا و جمالا على غرار ضريح دوقة بتونس و ضريح الخروب بالجزائر. وكانوا يشتركون في بناءها مع مختلف الحرفيين كالنجارين الذين كانوا يصنعون العوارض و الدعامات الخشبية، والحدادين الذين كانت مهمتهم صهر الحديد ليكون أداة لقلع و تشذيب الصخور الصلبة التي كانت تشكل أهم مادة في بناء المعالم.

ضريح الخروب(شنيتي،المرجع السابق،ص٨٦)

و من خلال الدراسة التي قام بها مراد زرارقة حول طرق و وسائل قلع وتشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغالتية و شبه ميغاليتية ،تبين استعمال تقنيتين في قلع و تشذيب الصخور منها تقنية استحداث القنوات المحفورة في الصخر و تقنية استعمال المخارز كما توضحه الصورة [١٧]تقنية استعمال المخارز في الصخور.

---

[16] Gsell(St), Histoire …opciit,p٢٢٠

[١٧]زرارقة (مراد) ،طرق ووسائل قلع و تشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغالتية و شبه ميغاليتية ،مجلة أثار ،٢٠١٢ ،ص ص ٩٣ -١٠٥

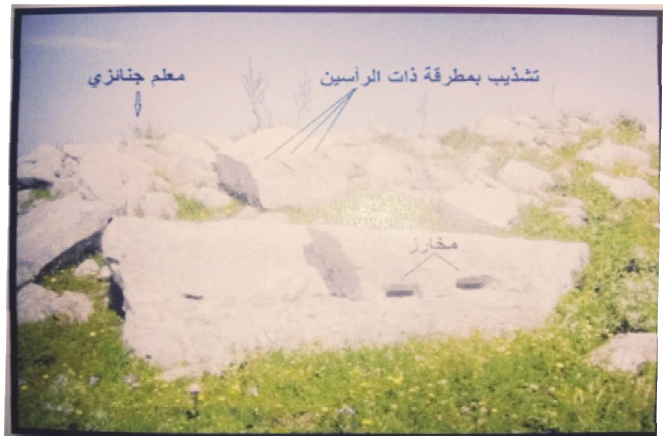

عن مراد زرارقة ، طرق و وسائل قلع و تشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغاثلية و شبه الميغاثلية- مجلة اثار٢٠١٢ ص١٠٤

و يعتبر الفخار و النقود من أهم البقايا التي تعطينا فكرة عن الصناعة النوميدية نظرا للكميات الهائلة التي عثر عليها في كامل المواقع التي كانت تابعة لنوميديا و التي تدل على وجود ورشات لصناعتها .

ا – الفخار:

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات التي عرفها النوميديين ،فقد عثر على كميات كبيرة منه في المدافن خاصة منها التي ترجع إلى فترة فجر التاريخ،وهو فخار لا يزال يحمل نفس المواصفات إلى غاية يومنا هذا من طريقة في الصنع أو في الرسم الذي يبقى رمز المثلث من أهم رسوماته.

ويصنف الفخار النوميدي من الناحية التقنية إلى النوع المقولب يدويا ،كما يقسم الفخار من حيث الدهن إلى نوعين، ملون وغير ملون و ترتبط الألوان بالزخارف ومنه المزخرف بالألوان و أخر مزخرف بدون ألوان أي بواسطة تحزيزات ونتوءات بارزة أو غائرة ،و تعتبر الزخرفة التشكيلية أقدم من زخرفة الألوان فهي تعود إلى العصر الحجري الحديث [١٨]. ومن خلال الدراسات التي أقيمت حول الفخار، يمكننا التمييز بين الفخار الجنائزي الذي كان اقل اتقانا من الفخار المخصص للاستعمال اليومي. و يعتبر موقع قاستال بمدينة تبسة و الركنية نواحي مدينة قالمة شرق الجزائر وتيديس قرب قسنطينة شرق الجزائر و بني مسوس بالجزائر العاصمة من أهم المواقع الأثرية التي وجدت بها اكبر كمية من الفخار الجنائزي

[18] Camps(G),opcit,p321

نموذج من الفخار ألمغاربي المعروف بطراز تيديس
نسبة إلى منطقة اكتشافه تيديس بشرق الجزائر (تصوير الباحثة)

ولقد سمح إنتاج الزيتون بنوميديا من تطوير نظام الإنارة و الصناعة الفنية التي تترجمها الأعداد الكبيرة لأثار المعاصر التي تؤكد على وفرة الزيت الذي استعمل بكثرة في الإنارة،مما أنعش صناعة المصابيح الفخارية التي دلت عليها أثار الأفران التي اكتشفت بتبسة وميلة شرق الجزائر وتيديس و غيرها.

أحواض صنع الفخار بتيديس(تصوير الباحثة)

ويشترك الفخار ألمغاربي مع فخار جميع العصور في الأشكال و الألوان و في عناصر الزخرفة.و احتوى الفخار النوميدي على توقيعات و علامات صعبة التفسير مثل علامة س بالليبية التي وجدت بتيديس و علامات أخرى .و يشير كامبس إلى ان هذه الرموز تدل ربما على معاني جنائزية أو دينية لأنه كان هناك الاعتقاد باليوم الأخر بدليل وضعهم أمام الميت بعض الحبوب و أدوات متنوعة مثل الحلي والأواني[١٩]

[19] Ibid,p322

ب –النقود:

دخلت صناعة العملة الى بلاد المغرب عن طريق التجار الفينيقيين الذين اقتبسوا بدورهم صناعة العملة عن إغريق صقيلية .و يعود الاهتمام بالعملة النوميدية إلى سنة ١٨٤٣ من طرف العالمين الدانماركيين فالب (Falbe) و ليندغ (Lindgr) ثم ميلر(Muler) [٢٠] الذي أصدر الجزء الأول الخاص بالنقود النوميدية و أصبح كتابه مرجعا أساسيا و من اشهر الباحثين يمكن ذكر مازار(Mazard)الذي ركز أكثر على الجانب الفني للقطعة النقدية [٢١]و الكسندغبولوس (Alexandroupolos) الذي قام بدراسة مقارنة بين العملة النوميدية و العملة الإغريقية و الرومانية [٢٢]

و كان الملك سيفاكس أول من ضرب العملة باسمه حيث اكتشفت كميات كبيرة من النقود تحمل اسمه و صورته و أيضا باسم ابنه فرمينا(Vermina) ابنه فرمينا

ومن أهم خصائص العملة النوميدية إنها مصنوعة من معادن عادية كالرصاص و النحاس و البرونز و قليل من الفضة حسب كمية النقود التي عثر عليها بالعاصمتين النوميديتين سيقا غرب الجزائر، و قسنطينة شرق الجزائر.

و كانت مناجم الرصاص و النحاس معروفة بنوميديا على عكس الفضة والذهب الذي كان يجلب من الخارج و انجر عن استخدام المعادن الرديئة فقدان العملة لميزة الجودة وتعرضها للتلف بفعل الأكسدة الكبيرة [٢٣]

بقايا صناعة النحاس موقع الاندلس بوهران(موقع ويكيبيديا)

[20]Muler ,Lud,Numismatique de l'ancienne Afrique,Copanhaguen,1874
[21] Mazard ,J ,Corpus numorum Numidiae Mauretaniaeque, Alger, 1955
[22] Alexandroupolos ,J,Les monnaies de l'Afrique Antique,400-40,Toulouse,2000
[23] Mazard, op cit , p149

مصفاة تدل على معرفة النوميديين لصناعة النحاس (متحف عنابة تصوير الباحثة)

وتحمل العملة أسماء و صور الملوك النوميديين مكتوبة بالبونية على الوجه و على ظهر القطعة رسوم حيوانات كالفيل و الحصان او نبات كالسنابل وعناقيد العنب و اختلف الباحثون في تفسير رسم الحصان الذي يعد أهم و أكثر رسم يطهر في العملة النوميدية، و قد ننحاز إلى الرأي الذي يقول انه يعبر عن اهتمام الملوك النوميديين للحصان لدلالته العسكرية و الاقتصادية [٢٤]

وتعطينا الصورتين التاليتين فكرة عن العملة النوميدية.

الملك سيفاكس عن/ Alexandropoulos J. 2002, p.394,n,6

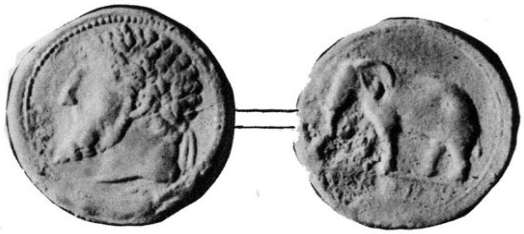

الملك ماسينيسا عن/ (Mazard J. 1955,p. 21, n°13)

ولقد كان لاكتشاف لوحات معبد الحفرة بقسنطينة (كرتا العاصمة النومبدية) سنة ١٩٥٠ حدثا عظيما أضفى الكثير على تاريخ المدينة بشكل خاص في الفترة النوميدية، وعلى تاريخ الجزائر ككل بصفة عامة ،لما حملته من معلومات حول المجتمع النوميدي ،ما بين نهاية القرن الثالث وخلال القرن الثاني إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد ،وما ذكرته بعضها من وظائف ورتب ألأشخاص وتنقسم هذه الكتابات إلى مجموعتين رئيسيتين، مجموعة أولى تعرف بمجموعة كوستا نسبة

[٢٤] شنيتي محمد البشير ، المرجع السابق، ص ١٦٣

لمكتشفها الإيطالي (L. Costa) وهي محفوظة بمتحف اللوفر بفرنسا، ومجموعة ثانية تنسب لبرتيي و شارليي (A. Berthier et R. Charlier) وهي محفوظة بمتحف المدينة. وأصبحت المدينة بهذا العدد من الكتابات تصنف كثاني مدينة بعد قرطاجة من حيث العدد والأهمية. وقد سمحت الدراسة التي قام كل من برتيي و شارليي التي سنرمز لها في الجدول التالي بمجموعة ب-ش[٢٥] و أيضا زنكلر وبرترندي التي سنرمز لهما في الجدول التالي بمجموعة ب-ز[٢٦] ،من إعطاء صورة عن مجتمع المدينة في هذه الفترة ،حيث تذكر الوظائف والحرف وسلم الأشخاص وتؤكد البعض منها، والمؤرخة بعهد ماسينيسا وأولاده على الدّور السياسي للمدينة كعاصمة للملوك النوميديين

- ويمكن تصنيف هذه الوظائف إلى
- وظائف إدارية و عسكرية لا ندرجها لأنها لا تخدم موضوعنا و نكتفي بذكر الحرف و المهن

جدول المهن و الحرف حسب لوحات معبد الحفرة بقسنطينة

الوظيفة	رقم الكتابة في مجموعة برتيي و-شرليي	رقم الكتابة في مجموعة برتراندیو-زنكلير	الملاحظة
طبيب	٩٢، ٩٥	٣	
نجّار	٩٥، ٩٦، ٩٧		
سبّاك	٩٣	٥٧	
مختص بالتسقيف	٤٢		
مختص بحفر الآبار أو مكلّف بالينابيع	٨٩		غير واضحة
صانع الأقواس	١٠٠		
صانع تماثيل وجرّات (خراط)	٤٨		غير مؤكدة
حامل سيف التضحية	٨٥		غير مؤكدة
نسّاج	٥٠		ذكرها برتي كاسم مكان
صانع أواني خشبية(		١٠١	لم تذكر في كلا المجموعتين

[25] Berthier(A) et Charlier(R), Le sanctuaire punique d'El Hofra , Paris 1955
[26] - Bertrandy (F) et Sznycer, Les stèles puniques de Constantine, Paris 1987

يتضح لنا من خلال الجدول، وجود فئة متنوعة من الحرفيين بالإضافة إلى البنائين،.وأيضا الفخاريين الذين اكتشفت أختامهم في الأواني الفخارية، و الدباغين، و عمال المعاصر الزيتية والفرانين و الحدادين و التجار . وحملت بعض لوحات معبد الحفرة صورا تشير إلى بعض الحرف كصانع الفخار و الحداد و البناء. و ان لم نعثر على أثار و جود ورشات في الفترة النوميدية، إلا ان العدد الهائل للنقود التي وجدت يؤكد وجود ورشات بها وكانت قسنطينة مركز الخزينة، وكانت لديها استقلالية في سك العملة ، حيث اكتشفت بها قطعا نقدية تحمل إحداها اسما الحاكمين الذين كانا يأمران بسكها وهما .و تعطينا الصورة التالية المأخوذة من متحف سرتا بقسنطينة فكرة عن أهمية الآثار التي تعود إلى الفترة النوميدية التي عثر عليها في عدة مواقع بما فيها مئات اللوحات المكتوبة بالبونية المهداة للالهين بعل حمون و تانيت التي اكتشفت بموقع الحفرة بقسنطينة.

القاعة النوميدية (تصوير الباحثة)

نصب نذري كنموذج من أنصاب معبد الحفرة ،يحمل صورة عدة سلاح نوميدية تبين معرفة النوميديين للصناعة المعدنية و كذلك صقل الحجارة و النقش على الحجارة
(متحف سرتا تصوير الباحثة)

٣ - الحركة التجارية:

تعود الحركة التجارية ببلاد المغرب إلى الإلف الثانية قبل الميلاد ،ونشطت أكثر مع المجيء الفينيقي إلى السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط، بحثا عن أسواق جديدة و عن المعادن والمواد الأولية.فنشأت بذلك علاقات تجارية بين السكان المحليين و بين الوافدين الجدد الذين سيطروا في فترة وجيزة على التجارة في المنطقة، استمرت مدة طويلة بفضل إنشاءهم للعديد من المرافئ التي ما فتئت ان تطورت إلى مدن كانت لها علاقة مباشرة بالمدن النوميدية ،التي لم تكن تخضع للسيطرة القرطاجية. وتبين لنا الآثار الفينيقية التي وجدت ،منها ما يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد عن وجود تجارة .و في نهاية القرن الثالث ق.م وخلال القرن الثاني ق.م زالت السيطرة القرطاجية على جميع الأصعدة،وعرفت الممالك الوطنية تطورا و ازدهارا كبيرين تزامن مع توحيد المملكة النوميدية التي كانت كرتا (قسنطينة)عاصمتها تحت حكم اشهر الملوك النوميديين ماسينيسا ،الذي كان يتطلع كثيرا إلى العلاقات الخارجية مع القوى الكبرى على غرار الإغريق .و في هذه الفترة تطور أسلوب التعامل الاقتصادي النوميدي من نظام المقايضة إلى التعامل النقدي الذي يرجع إلى فترة الملك النوميدي سيفاكس (القرن الثالث قبل الميلاد)

ولقد ذكرت المصادر الإغريقية و اللاتينية العلاقات الحسنة التي كانت تربط ماسينيسا و أولاده بالإغريق و التجار الايطاليين .[٢٧]

و شهدت المبادلات التجارية مع جزيرة رودس نشاطا تمثل خاصة في تزويد هذه الأخيرة بالقمح،و قد أقام سكان مدينة ديلوس تمثالا لماسينيسا تقديرا منهم للمساعدة التي قدمها لهم سنة ١٧٩ق.م و التي قدرت ب ١١٦٠٠ قنطارا من القمح.[٢٨]

وتشهد الجرات و الانفورات الإغريقية التي اكتشفت بقسنطينة و غيرها من المدن النوميدية عن هذه العلاقات كما توضحه لنا الصور. ومن السلع التي كانت تصدرها نوميديا ،العاج و الخشب ،خاصة التويا الذي كان يعتبره النوميديون مادة نبيلة ،وكذلك الحيوانات المفترسة التي كانت تستعمل في ألعاب السيرك و المصارعة.وفي المقابل كانت نوميديا تستورد المصابيح والفخار والمنسوجات و غيرها..وأصبحت الموانئ الساحلية بعد سقوط قرطاجة مراكز تجارية نوميدية.و ذكرت لنا المصادر وجود تجار ايطاليين كانوا مفوضين من قبل روما لشراء القمح النوميدي.[٢٩]

---

[27] Polybe,Histoire romaine,XXXVI,4,16,7,8,edit Buttner Wobst,1883 ;Appien,Roman history,VIII,engl transled by H.White,edit LoebClass,London,1928 ;Tite live,Histoire romaine,XXX,30,5.14,traduit par Eu.Lassere,Paris,1861

[28] Ould Tahar(M),L'hellenisme dans le royaume numide au II AV,dans Ant,Af,t,40-41,2004-2005,p,29

[29] Salluste,Guerre de Jughurta,XXI.2

و تعطينا بقايا الفخار الفينيقي و الإغريقي و الايطالي التي اكتشفت بالمدن النوميدية خاصة قسنطينة صورة عن التبادل التجاري بين النوميديين و مختلف شعوب البحر المتوسط.وكانت اللغة الإغريقية هي لغة التجارة لدى الملوك النوميديين، أما البونية، فكانت لغة الحضارة والثقافة.

خلاصة:

يصعب ان نفرق بين النشاط الاقتصادي الذي كان قائما في قرطاجة نفسها و المدن النوميدية بفعل احتكاك الحضارتين ببعضهما حتى انصهر العنصر المحلي مع العنصر القرطاجي و أصبح من الصعب التفريق بينهما . كما اننا لا نملك معطيات موثوقة حول حقيقة النشاط الاقتصادي عند النوميديين ،ففي ميدان الفلاحة فلا احد ينكر معارف القرطاجيين في هذا الميدان فقد وضعوا كتبا تبرز الاسس العلمية و الطرق التطبيقية للمزارعين استفاد منها النومديين بالتأكيد ، و يكفي ان نذكر كتاب ماجون الفنيقي الذي ترجم الى اللاتينية اعترافا لقيمته بشهادة الرومان أنفسهم وتطور الزراعة النوميدية جعل إنتاجها من القمح وفيرا جدا ، ما جعل الفلاحين يلجئون إلى تخزينها في مطامير و هي المطامير التي استولى عليها قيصر خلال حملته على المغرب القديم و ركز أيضا النوميديون على الزراعة الشجرية خاصة الزيتون التي كانت زراعة ذات طابع صناعي –تجاري و قد حذا النوميديون في المجال التجاري حذو القرطاجيين الذين وصفوا بالعباقرة في هذا الميدان، و برزت التجارة النوميدية أكثر عندما تراجعت قوة قرطاجة بعد الحرب البونية الثانية ، حيث حاول ماسينيسا احتكار التجارة مع العالم الخارجي و كذا السيطرة على التجارة الداخلية خاصة مع القبائل الصحراوية .

نماذج من الفخاريات وجدت بقسنطينة تبين التبادل التجاري .

جرة فينيقية (متحف سرتا)

مصابيح هيلينستية

(تصوير الباحثة) و جرات رودية(متحف سرتا)